Vol 09 / Issue 37/ September 2025
ISSN 2568-6739 p204-218

Journal of social sciences
Democratic Arabic Center For Strategic, Political & Economic Studies, Germany-Berlin

Alain Touraine's The End of Societies – A Sociological Reading of the Paradigm Shift from the Social to the Cultural-Ethical

Mohamed El Fazni*

PhD researcher in Sociology

Cadi Ayyad University, Faculty of Arts, Humanities, Arts, and Educational Sciences, Marrakesh, Morocco

elfaznimajd@gmail.com

https://orcid.org/0009-0004-5331-8802

Received: 13/08/2025, **Accepted**: 23/09/2025, **Published:** 30/09/2025

Abstract: Alain Touraine's The End of Societies (2013) is a major contribution to redefining contemporary sociology. The author proposes a shift from a structure-centered social paradigm to a cultural paradigm centered on the "active subject" and human rights. The book examines the transformation of modern societies after the decline of class struggle and the rise of "subjectivation societies" in which collective action is framed within an ethical and rights-based horizon, beyond traditional economic struggles. This review outlines the book's intellectual context, summarizes its content, and provides a critical reading of key concepts such as "total power," "ethical movements," and "dignity" as a principle of resistance. It also discusses Touraine's contribution to renewing sociological theory and its ability to grasp contemporary transformations.

Keywords: Alain Touraine, The End of Societies, Active Subject, Social Movements, Cultural Paradigm.

**Corresponding author*

المجلد:09/العدد 37/سبتمبر 2025
ISSN 2568-6739 ص204-218
مجلة العلوم الإجتماعية
المركز الديمقراطي العربي ألمانيا-برلين

مراجعة كتاب آلان تورين "نهاية المجتمعات" – "قراءة سوسيولوجية لتحول البراديغم السوسيولوجي من الاجتماعي إلى الثقافي الإيتيقي–

محمد الفزني *

جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والفنون وعلوم التربية – مراكش– المغرب

elfaznimajd@gmail.com

https://orcid.org/0009-0004-5331-8802

تاريخ الاستلام: **2025/08/13** - تاريخ القبول: **2025/09/23** - تاريخ النشر: **2025/09/30**

ملخص: يشكل كتاب "نهاية المجتمعات" (2013) لآلان تورين محطة فكرية بارزة في إعادة تعريف علم الاجتماع المعاصر، حيث يقترح انتقالًا من البراديغم الاجتماعي القائم على البنى والمؤسسات إلى براديغم ثقافي يتمحور حول "الذات الفاعلة" وحقوق الإنسان. يستعرض الكتاب تحولات المجتمع الحديث بعد أفول الصراع الطبقي، وصعود "مجتمعات التذويت" التي تؤطر الفعل الجماعي ضمن أفق أخلاقي وحقوقي، بعيدًا عن النضالات الاقتصادية التقليدية. هذه المراجعة تعرض السياق الفكري للكتاب، وتلخص مضمونه، وتقدم قراءة نقدية لأهم مفاهيمه مثل "السلطة الكلية"، "الحركات الإيثيقية"، و"الكرامة" كمبدأ مقاوم. كما تناقش إسهام تورين في تجديد النظرية الاجتماعية وقدرتها على فهم التحولات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: آلان تورين، نهاية المجتمعات، الذات الفاعلة، الحركات الاجتماعية، البراديغم الثقافي.

* المؤلف المرسل

1. المقدمة

يأتي كتاب *"نهاية المجتمعات "*في سياق تحولات عميقة عرفها العالم مع بدايات القرن الحادي والعشرين، حيث تراجعت المؤسسات الاجتماعية التقليدية، وتنامت الفردانية، وصعدت قضايا الحقوق الثقافية والكرامة الإنسانية إلى واجهة النضال الاجتماعي. ينطلق تورين من أطروحته حول أفول المجتمع التاريخاني، ليبني تصورًا جديدًا لعلم الاجتماع قائمًا على الذات الفاعلة، ويعيد تعريف الحركات الاجتماعية كمشاريع ثقافية وأخلاقية. إن هذا الكتب هو بمثابة تتويج لمسار توروين الفكري في ثلاث مستويات وهي: سوسيولوجيا الفعل، سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية، وسوسيولوجيا الذات الفاعلة. إنه يعبر بحق عن ثورة معرفية في البراديغم السوسيولوجي.

يسعى آلان تورين في كتابه هذا "نهاية المجتمعات"، إلى إعادة تعريف الأزمة التي يعيشها عالمنا المعاصر من خلال مفاهيم علم الاجتماع. فهو يبين أن المؤسسات الاجتماعية، بكل ما تملكه من موارد مالية وبشرية، تتحرك وفق توجهات ثقافية سائدة، غير أن انفصال هذه الموارد عن أشكال الرقابة الدستورية والثقافية والسياسية يؤدي في نهاية المطاف إلى تقويض تلك المؤسسات، وإلى فصل الموارد عن القيم التي تمنحها المعنى. ومن خلال تتبعي لأطروحته، لاحظت أن تورين كان قد أشار منذ زمن بعيد إلى فقدان المؤسسات الاجتماعية لمحتواها الجوهري، سواء تعلق الأمر بالديمقراطية، أوبالمدينة، أوبالمدرسة، أوبالأسرة، أوبأنظمة الضبط الاجتماعي. وقد حلّل هذه الوضعية باعتبارها تجلّيًا لما يسميه "نهاية ما هو اجتماعي"، أوبعبارة أكثر مباشرة، "نهاية المجتمعات." ويتساءل تورين عن مدى إمكانية إعادة السيطرة على الاقتصاد النيوليبرالي المتوحش وإعادة بنائه، ويقدّم لذلك مسارين للإجابة: الأول، وهو الأكثر شيوعًا بحسبه، ينطلق الجواب الأول من ملاحظة ضعف أوغياب المعايير الاجتماعية والأخلاقية، ليخلص إلى أننا أصبحنا خاضعين أكثر لمنطق اقتصادي نفعي من أي منطق اجتماعي، أوأننا نتمسك بانتماءات اجتماعية غير ممأسسة، مثل الوعي بالانتماء إلى فئة أوجماعة أوتنظيم ثقافي أوسياسي، ما يقود إلى رؤية مجزأة بل وأحيانًا فردانية تمامًا للوضع. أما الجواب الثاني، وهو الموقف الذي يدافع عنه تورين، فيقوم على أن القيم الثقافية ذاتها هي التي يمكن أن تحل محل المعايير الاجتماعية الممأسسة، حتى وإن كانت في تعارض مباشر مع منطق الربح والسلطة. هذه القيم، أوالمبادئ، ليست اجتماعية بالمعنى

المؤسسي للكلمة، بل تتجاوز المؤسسات والقوانين، ولهذا يصفها تورين بـ"الخلقية" ليدل على أن أصولها تتواجد خارج التنظيم الاجتماعي، وأنها ذات مضمون كوني يفرض نفسه على المؤسسات.

2. المؤلف ومساره العلمي والفكري

يعد ألان تورين (1925–2023)؛ عالم اجتماع فرنسي ومفكر عالمي له اهتمامات متعددة من سوسيولوجيا الفعل إلى الحركات الاجتماعية؛ في كلمة "الذات البشرية" في مجموع تحولاتها ورهاناتها، إنتكاساتها وآمالها.

1.2. مساراته الفكرية

أ. 1964: قدم أطروحة لنيل الدكتوراه في موضوع: " سوسيولوجيا الفعل la sociologie de l'action"، حلل فيها المجتمع الصناعي باعتباره أنتج التاريخ، إنه مجتمع له القدرة عل انتاج وإعادة إنتاج وتدمير نفسه بنفسه، ودرس في هذا البحث الفعل العمالي من خلال الكشف عن الذات الفاعلة والقيم الموجهة لها، ليبدع بذلك مفهوم الفعلية l'actionnalisme" والتاريخانية Historicisme " كأدوات مكنته من تحليل وفهم الحركة العمالية والحركات الاجتماعية الجديدة، مؤطرا هذا العمل السوسيولوجي بسؤال مركزي هو: هل لازالت مجتمعاتنا تمتلك الوسائل لإنتاج نفسها بنفسها؟.

ب. 1966: أنجز أطروحته بعنوان الوعي العمالي la conscience ouvrière كانت على شاكلة تحقيق في الوسط العمالي، ليخلص إلى أن الوعي العمالي هو واقعة تاريخانية تجسد لحظة لقاء الحركة العمالية مع الحركة الرأسمالية، كان هدف الوعي العمالي هو تحقيق الاستقلالية العمالية ضد أجهزة وسلطة الإنتاج ذات التدبير الأداتي، موضحا في ذلك الحدود والاختلافات بين الحركة العمالية كحركة اجتماعية وذات فاعلة والمصوغات الأيديولوجية التي تحاول الحد من استقلالية العمل العمالي ووعيه وتوجهاته كالحزب، والاشتراكية أوالنقابية البيروقراطية.

ت. 1973: توجت بكتابه إنتاج المجتمع Production de la société بين فيه قدرة المجتمعات على انتاج نفسها عن طريق مفهوم تحليلي أسماه "التاريخانية".

ث. دراسات في الحركات الاجتماعية: بعد تأسيسه لمركز التحليل والتدخل السوسيولوجي أرسى تورين في هاته الفترة مشروع بحثي طموح موضوعه الحركات الاجتماعية الجديدة، مبتكرا لدراستها منهج جديد هو وفريقه البحثي هذا المنهج سماه بالتدخل السوسيولوجي l'intervention sociologique من خلال تطبيقه على بعض الحركات منه حركة تضامن SolidarnoSS، حركة 68 ماي الطلابية، الحركات البيئية، والحركات النسوية.

ج.2008 وما بعد، (2011، 2013، 2015): التفت تورين إلى الأزمات والتحولات العالمية التي عصفت البشرية في مرحلة الرأسمالية المالية من خلال كتابه "نهاية المجتمعات la fin des sociétés " بين فيه كيف أن الأزمة الاقتصادية تجاوزت بعدها الاقتصادي الى أزمة المجتمع المعاصر الذي فقدت فيه المؤسسات الاجتماعية والروابط الاجتماعية معناها، محاولا لفت انتباهنا الى الحياة البديلة والمعنى الجديد الذي بدأت تدخل فيه المجتمعات المعاصرة؛ إنه يتسم ب:

–حياة اجتماعية وفردية قوامها إيثيقا مؤنسنة بعد أن كانت دينية.

–انبثاق حركات ثقافية تدافع عن الحقوق العالمية للإنسان.

+مقاومة الذات الحقوقية سلطة المال والنفوذ.

في كتابه (نحن الذوات البشرية، تورين. 2015)، يعمق تورين هذا الفكر الاجتماعي الجديد الذي أسسه صرحه على تواري المجتمع والفكر الكلاسيكي القديم، عن طرق مقاربة سوسيولوجية تقوم على الذات الفاعلة وعلم اجتماع الفواعل بدل علم الاجتماع النظام. هدف هذه المقاربة الجديدة هو: كشف وتعزيز قدرات الفواعل الجدد والذوات البشرية الفاعلة على مقاومة السلطة الكلية في جميع أنحاء العالم، من رأسمالية مالية متوحشة إلى أنظمة شمولية، الى دول وطنية استبدادية، وذلك عن طريق إثيقيا ما فوق اجتماعية أساسها ومبادئها: (الكرامة، الحرية، التضامن، العدالة) تؤسس لحركات ثقافية جديدة تحل محل الحركات الاجتماعية القديمة.

يمكن تقسيم إنتاجاته الفكرية إلى مراحل ثلاث:

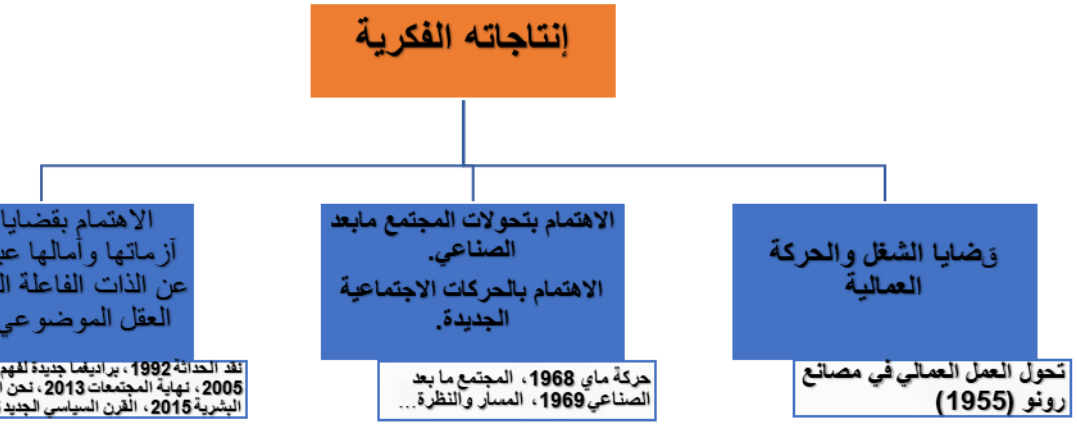

3. بنية الكتاب

يتكون الكتاب من 585 صفحة، و يتضمن ما يلي:

. مقدمة المترجم: تتضمنت التعريف بالمؤلف (تورين) ومساره الفكري واسهاماته السوسيولوجية، وتقديم حول هذا الكتاب.

. مقدمة المؤلف: يرصد فيها "تورين" أهمية التحول الذي نعيشه والمرتبط بانتصار الاقتصاد على السياسة، وتشظي الاجتماعي. والحاجة إلى براديغم بديل للباراديغم الاجتماعي هو البراديغم الثقافي.

. الجزء الأول من الكتاب: يحمل عنوان "حينما تكلمنا أنفسنا بمفردات اجتماعية" ويشير فيه الى التفكك الاجتماعي، ويتكون هذا القسم من من خمس فصول:

. الفصل الأول: القطيعة.

. الفصل الثاني: العولمة.

. الفصل الثالث: أوربا ولة دون أمة.

. الفصل الرابع: نهاية المجتمعات.

. الفصل الخامس: العودة الى الذات.

. الجزء الثاني من الكتاب: معنون ب " الآن حيث نتكلم عن أنفسنا بمفردات ثقافية"، ونجد فيه المفهومين المركزيين اللذان يشكلان البراديغم الجديد: مفهوم "الذات"، مفهوم "الحقوق الثقافية"، ويحتوي فصول ثلاث هي:

. الفصل الأول: الذات.

. الفصل الثاني: الحقوق الثقافية.

. الفصل الثالث: مجتمع النساء.

.خاتمة.

4. مضمون الكتاب

- الكتاب: "" (نهاية المجتمعات) باللغة الأصلية الفرنية La fin des sociétés
- المؤلف: ألان تورين (Alain Touraine)
- تاريخ النشر النسخة الفرنسية : 2013
- ترجمة : عبد الرحيم حزل باللغة العربية
- دار النشر : دار الأمان للطباعة والنشر، الرباط،
- تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2017

يهدف هذا الكتاب الى محاولة بناء فكر اجتماعي شامل وقادر على الإحاطة بمجمل التحولات والاشكالات الكبرى التي يعيشها عالم اليوم، بمعنى آخر هذا الكتاب هو ذاك الجسر الذي يوضح لنا طريق العبور من ضفة الباراديغما الاجتماعية التي كانت تحكم المجتمعات الحديثة الى ضفة الباراديغما الثقافية التي تعيشها مجتمعاتنا المعاصرة.

ينقسم الكتاب الى قسمين:

القسم الأول: يحمل عنوان "عندما كنا نتكلم عن ذواتنا بمصطلحات اجتماعية" ويرسم فيه الكاتب صورة عامة لمظاهر التفكك والتشرذم التي عرفها الاجتماعي من مؤسساته الاجتماعية وروابطه الاجتماعية. أما **القسم الثاني:** فيحمل عنوان " الآن أصبحنا نتكلم عن ذواتنا بمصطلحات ثقافية " ويحيل على اتجاه المجتمعات المعاصرة الى باراديغما ثقافية هي المفسرة للتحولات المعاصر والمتمثلة في هيمنة قيم جديدة على وعي البشرية ك: الحرية، الكرامة، الحقوق الإنسانية، وكذلك قيم الاستلاب والمال والسلطة والهوية والاستهلاك.

إن هذه التحولات التي صاحبت الحقبة المعاصرة التي تعيشها مجتمعاتنا اليوم، ارتبطت أساسا حسب "تورين" بالقطيعة التاريخانية التي أحدثتها أحادث سبتمبر 2001 والتي جرت الولايات

المتحدة الأمريكة والعالم أجمع، بدء من عولمة الاقتصاد الى عسكرة العالم وظهور أشكال متعددة من العنف والتطرف والإرهاب، الى سيطرة الاستهلاك بأنواعه على المجتمع الجماهيري، وبروز الفردانية: حسب المؤلف. هذه التحولات تؤكد أننا في طور الدخول في براديغما جديدة لفهم عالم اليوم سواء في علاقتنا بذاتنا أوبالآخر.

ويرسي تورين في هذا الكتاب بعض الخلاصات الأساسية التي يمكن من خلالها الوقوف على طبيعة التحولات التي تجري في مجتمعاتنا المعاصرة وهي:

أ. أن العولمة الاقتصادية هي أحد أقصى أشكال الرأسمالية المتطرفة لا تقف عند عولمة الإنتاج والتبادلات والأموال والمعلومات.

ب. أدت العولمة الاقتصادية الى زوال الحدود القومية الشيء الذي نتج عنه تفتت المجتمعات.

ت. وقوف الفردانية منتصرة على أنقاض التصور الاجتماعي لوجودنا، يعكس هشاشة "أنا " " Mois " لا تنفك تتبدل باستمرار من فرط ما هي متأثرة بشتى أشكال الاستهلاك.

ث. بقدر ما أن هاته الفردانية خاضعة لمقتضيات الإنتاج والاستهلاك والتواصل بقدرما تعمل على إنقاذ ذاتيتها، وهي المقاومة التي تؤكد حقوقية حرة مناضلة من أجل حقوقها.

ج. في عصر البارادیغما الثقافية، أصبحت المطالبة بالحقوق الثقافية تتصدر الواجهة، وتتستمر في الاتساع لتأخذ طابعا عاليا.

ح. إن أي دينامية جديدة تسعى الى الظهور مضطرة الى جمع شتات الحداثة أي: العقلنة والتذويت.

ويسعى تورين في هذا الكتاب الى إيضاح ذلك التحول التي عرفته المجتمعات المعاصرة أي: أفول مجتمعات تاريخاينة سيطر عليها صراع الطبقات، والبحث عن المنفعة، وهيمنة الاجتماعي والسياسي على الحياة الاجتماعية، وبداية مجتمعات جديدة متمحورة حول الذات، وهذه الأخيرة هي العنصر المركزي التي تقوم عليها شرعية مجتمعات الآن اذ يشكل تطوير الذاتية وازدهارها أفقها الأساسي، ويلقبها "تورين" ب"مجتمعات التذويت" "les sociétés de subjectivation".

غير أن هاته الذات البشرية الخلاقة تواجه مخاطر قد تعمل على طمسها وهي ما يسميها تورين ب"السلطة الكلية" من رأسمالية المالية (طبقة المقاولين، التيكنوقراط، السياسيين)،

وأنظمة شمولية (الفاشية الجديدة، الدولة الحزب) أودول وطنية استبدادية قامت على أنقاض حركات التحرر الوطنية. حيث تسعى هذه السلطة الكلية إلى الهيمنة على الذاتية البشرية. يوضح "تورين" هذا قائلا: " تنزع أنظمة السلطة الممارسة في عالمنا الراهن إلى السيطرة على العالم الموضوعي والاقتصادي، المتعلق بالخيرات، كما عالمنا الذاتي المتعلق بالتصورات والآراء وأنماط الاستهلاك. الأمر يتعلق حقًا بشكل جديد من المجتمعات. وأنا أميز بين ثلاثة أنماط، لعل أبرزها وأقربها للحركة الكليانية القديمة الحزب–الدولة الذي صاغ الإتحاد السوفياتي نموذجه، والذي يمثل الحزب–الدولة الشيوعي الصيني مثاله الأهم اليوم. في حين يتصل النمط الثاني بالعالم الغربي حيث نجحت الرأسمالية المالية في بسط هيمنتها. لقد قطعت هذه الرأسمالية الجديدة مع الاقتصاد الفعلي، فأغلب الرساميل المتوفرة موظفة في أنشطة تخلو من كل وظيفة اقتصادية منتجة، بل يمكن أن تكون لا مشروعة، مثل تجارة السلاح والمخدرات، وهدفها تعزيز امتيازات أصحاب السلطة، أوالـ 1%الحاكمة كما يقول الشباب الأمريكي. أما الشكل الثالث من السلطة الكلية، فيحيل على ما أسميه "الاستبداد ما بعد القومي" الذي أزاح الأحزاب الناشئة عن التحرر من الاستعمار، وهو الواقع الذي ألفناه منذ سنة 1979 مع تولي الخميني السلطة في إيران. إنه العالم الإسلامي الذي يكون فيه الحكم باسم الدين". (أبيسكا، 2015، حوار مع آلان تورين). إذ اتسم القرن الواحد والعشرون بصراعات جديدة، إنه عالم العنف والحروب والتنميط الثقافي، لقد تواري العالم الاجتماعي الى الماضي، فما نلاحظه اليوم هو هيمنة حركات شمولية كحركات السوق والحروب في مقابل انبثاق الذات من القيم الاجتماعية المدمرة.

في هذا الصدد يخلص تورين في هذا الكتاب الى ضرورة مقاومة هاته السلطة الكلية وذالك بالحث عن فاعلين جماعيين بدلين عن الحركات الاجتماعية المصاحبة للمجتمع الصناعي، ذلك لأن الفعل الجماعي في مجتمع التذويث لم يعد يتشكل حول المسائل الاجتماعية والاقتصادية، بل يرتبط بشكل عميق بالمسألة الأخلاقية. من هذا المنطلق فان الحركات العمالية والنقابية القديمة فقدت دورها المركزي في بناء التحولات التاريخية، وذلك راجع الى احتواء أغلبها ضمن المؤسسات الاقتصادية والبيروقراطيات الادراية والسياسية، وارتباط نضالها على مسائل الإنتاجية والربح. ففي مجال الأخلاق أي في الصورة التي يكون كل فرد حول نفسه والقاعدة التي يسنها لتحديد ما يرضاه ويرفضه لنفسه تكمن اليوم إمكانات بناء وعي جماعي نقدي لقضايا العالم المعاصرة (تورين، *نهاية*

المجتمعات، 2017، ص. 20). فأين ما حل وارتحل عالم الاجتماع إلا ويلاحظ كيف أضحت الكرامة والحرية والعدالة قيم أساسية تشكل أساس الحركات الإيثيقية التي يشكلها فاعلين جماعيين يدافعون عن ذاتيتهم ضد هيمنة السلطات الكلية.

من هذا المنطلق يرى "تورين" أن مقاومة السلطة الكلية اليوم تتم عبر بناء حركات ايثيقية تطرح فكرة الكرامة كمدخل للدفاع عن الحقوق البشرية الأساسية وتقرنها بفكرة أخرى مركزية: الديمقراطية، ففي سياق مجتمعات التذويت وهي مجتمعات معرفة بامتياز يناضل الأفراد من أجل تعميم منتجات المعرفة ضد احتكارها من طرف قلة كي جميع الأفراد متساوين في قدرات كل منهم على معرفة وبناء ذاته، بالإضافة الى بناء أشكال جديدة من الديمقراطية بعيدة كل البعد عن السلطة القيادية أوالشمولية، بالإضافة الى تأكيد الحق في الاختلاف سواء ما يرتبط بالحقوق الجنسانية أوالنسوية أوالدينية. هذا بالإضافة الى نضالات الذوات البشرية ضد المخاطر البيئية وهو ما تعمل الحركات الايكولوجية عن تعميمه، يقول تورين " كوني فرنسيًا، فأنا مدفوع إلى رفع ثلاثي "الحرّية والعدالة والأخوة" في المقدمة .إلا أّنه لا أحد اليوم يذكر الأخوة. لقد تم تعويضها، منذ قرن، بالتضامن. وبالنسبة لي، مع كل ما أكنه من احترام للأخّوة، أريد أيضًا استبدال التضامن .”نحن في حاجة فعلّية لقوى حاشدة تحّركنا في سبيل رؤية أخلاقّية معارضة لكل أنظمة السلط .ولذلك اخترت مصطلحًا نسمعه يتّردد في كّل الأنحاء، ويستعمله البابا فرانسوا في كّل المناسبات :إنها الكرامة، وهي كلمة متعّينة في آن في الواقع الملموس ونابعة من صميم نظام الأخلاق .ففي المجتمعات الجديدة، لم يعد الفعل الجماعي يتشكّل حول الإشكالات الاقتصادّية، وانظروا إلى النقابات والأحزاب العمالّية، فهي إّما تلاشت أوهي في انحدار. إننا نجد في المجال الأخلاقي، أي في مجال الصورة التي يشكلها كّل عن نفسه وما يقبله ويرفضه باسم كرامته، وعيًا جماعيًا بصدد الازدهار :أريد أن اعامل معاملة الكائن البشري، أريد أن احترم، وأن تحترم كرامتي، أريد ألاّ اهان . الحقوق الأساسّية تتمّثل إذن في الحرّية والعدالة، وهما كلمتان مّتصلتان ومتكاملتان يستحيل فصلهما عن بعض، ومنهما تنبع الكرامة يجب أن تكون الحركات الجماعّية الجديدة أخلاقّية وديمقراطّية في آن، أي في صراع مع السلطات الكلّية، في بكين في ذات السنة في ساحة تيان آنمان Tian’anme، وكانت سابقًا في برلين سنة ،1989و مع الربيع العربي سنة 2011. وفي سبيل ذلك يجب أن يستيقظ أولئك الذي يتوفرون على ظروف حياة مقبولة من سباتهم، وأن يستّردوا

زمام الكلام، ويعيدوا الأولوّية للحقوق على حساب المصالح، ولاحترام الذات والآخر على حساب نسبّية سياسّية وثقافّية كسولة" (أبيسكا، 2015، حوار مع آلان تورين).

5. مضامين جزئي الكتاب وفصولهما

الجزء الأول: حينما تكلمنا أنفسنا بمفردات اجتماعية

الفصل الأول: القطيعة: يناقش انهيار المرجعيات التقليدية التي كانت تضبط علاقة الفرد بالمجتمع، وما ترتب عنه من فجوة بين الأفراد والمؤسسات.

الفصل الثاني: العولمة: يحلل أثر العولمة في خلق فضاء اقتصادي واجتماعي كوني، وما صاحبها من تراجع سلطة الدولة الوطنية.

الفصل الثالث: أوروبا دون أمة: يقدم توصيفا لأزمة الهوية الأوروبية في سياق الوحدة السياسية والاقتصادية، وغياب إطار قومي موحد.

الفصل الرابع: نهاية المجتمعات: يطرح تورين فكرة جد مهمة وهي أن مفهوم المجتمع كما صاغه علم الاجتماع الكلاسيكي قد دخل في أزمة انسداد، ما يستدعي إعادة صياغة منطلقات التحليل. "لقد استحالت فكرة المجتمع إلى أزمة... ينبغي أن نصوغ مبدأ في التحليل... علم اجتماع الذات" (تورين، 2020، ص. 45).

الفصل الخامس: العودة إلى الذات: يدعو تورين إلى إعادة بناء علم الاجتماع على أساس الذات باعتبارها مركز التحليل في عالم اليوم، وليس المجتمع أوالبنى الخارجية. "فلا ينبغي أن نحكم على الفاعل باسم المجتمع، بل المجتمع هو الذي ينبغي أن نحكم عليه باسم الذات" (تورين، 2020، ص. 112).

الجزء الثاني: الآن حيث نتكلم عن أنفسنا بمفردات ثقافية

الفصل الأول: الذات: يؤسس تورين لعلم اجتماع الذات، الذي يجعل علاقة الإنسان بذاته ووعيه بحقوقه محور التحليل. "فإن من شأن التعويل على الذات أن يحول الآنا إلى فاعل" (تورين، 2020، ص. 150).

الفصل الثاني: الحقوق الثقافية" ربط تورين الحقوق الكونية بفكرة الذات، بحيث تصبح الكرامة والحرية والعدالة غير مشروطة بالانتماءات الاجتماعية أوالاقتصادية. "تتمأسس فكرة الذات على الثقة في الكائن الإنساني" (تورين، 2020، ص. 210).

الفصل الثالث: مجتمع النساء: أبرز تورين أن نضالات النساء تعكس دينامية أوسع لتأكيد الذات ومواجهة أنظمة الهيمنة، في أبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية، ويعطي مثالين حول ذلك؛ قضية الإجهاض وملكية الجسد.

الفصل السادس: التذويت وإبطال التذويت: يقدم شرح وتعريف لمفهوم التذويت كعملية وعي الذات بذاتها كحاملة لحقوقها وحقوق الآخرين، والتحذير من آليات الإبطال الناتجة عن الانغماس في الأدوار الاجتماعية."التذويت يجد عوامل مساعدة في جميع التفاوتات التي تعين المرء على أن ينفتح على ذاته" (تورين، 2020، ص. 265).

الفصل السابع: من الذات إلى الممارسات: يبين تورين تمظهر الذات في الممارسات الاجتماعية: فمن منظور علوي تتمظهر عبر خرق أوتأكيد القواعد الاجتماعية. ومن منظور تحتي تتجلى في وعي الذات بالحقوق الكونية والفردية. "الوعي هو الكفاءة التي لدى بني البشر على أن يتحدثوا عن أنفسهم بمصطلحات القوانين" (تورين، 2020، ص. 310).

الفصل الثامن: من الذات إلى الوعي الأخلاقي: يعتبر تورين أن الوعي الأخلاقي، القائم على الكرامة والعدالة والتضامن، بديلاً عن المقدسات التقليدية:"الذات هي كل شخص واع بأنه حامل لحقوق ومعترف به بكونه كذلك" (تورين، 2020، ص. 355).

الخاتمة: من الاعتراف إلى ما بعد الاجتماعي

يستنتج تورين في خاتمة الكتاب أن التحولات المعاصرة تدفع نحو تجاوز مفهوم المجتمع إلى مرحلة ما بعد الاجتماعية، حيث تصبح الذات الكائن الحقوقي الخلاق المرجع الأعلى للسلوك الإنساني. "لا ذات دون التزام اجتماعي، ولا حركة اجتماعية بدون مباشرة للحرية ولمسؤولية الذات"(تورين، 2020، ص. 580).

6. **القراءة النقدية للكتاب**

يمثل الكتاب في عموميته مساهمة نوعية في تجديد النظرية الاجتماعية المعاصرة وذلك من خلال:

1. **الانتقال من تحليل البنى إلى تحليل الذوات والفواعل**، عبر علم اجتماع الذات.
2. **إدماج البعد الأخلاقي في علم الاجتماع**، ما يمنح القضايا الحقوقية والكرامة موقعًا مركزيًا.
3. **إعادة تعريف الحركات الاجتماعية** باعتبارها ثقافية وإتيقية بقدر ما هي سياسية.

وهذا ما جعل كتابه هذا ينال تقديرًا واسعًا في الأوساط الأكاديمية الفرنسية والأوروبية، خاصة في علم الاجتماع الثقافي والأخلاقي. و يمكن أن نصف الكتاب بأنه تشخيص عميق لأزمة المجتمعات الحديثة حيث كشف تورين عن هشاشة نموذج الحداثة العقلانية ذات البعد الأداتي أمام تعددية التجارب والمطالب الجماعية (العمال، النساء، المستعمرون)، داعياً إلى الاعتراف بالحقوق الثقافية دون الانزلاق إلى الطائفية. وفي هذا السياق، يمكن النظر إلى "البراديغم الثقافي" كإعادة توجيه للحداثة نحو الذات الفردية والجماعية. أما من الناحية الأسلوبية فنشهد لتورين ببراعته في تفكيك المفاهيم، لكنه في المقابل يستخدم لغة معقدة واستعارات متكررة قد تُربك القارئ. إلا أنه والبرغم من ذلك فإن كتابه هذا يعبر عن عمق وأصالة في التحليل السوسيوتاريخي للمجتمعات المعاصرة؛ خاصة أنه يعود إلى بداية الحداثة وعصر النهضة في تتبع للحظات وهج الحداثة وقيمها وأفولهما. وكذا لحظات ظهور الذات الفاعلة بشتى صورها ولحظات تطميسها.

7. الخاتمة

يُجسد هذا الكتاب محاولة جريئة في تتبع انتقال فكر الحداثة ذات البعد الاقتصادوي والتكنوقراطي الذي احتل المشهد الاجتماعي إلى عالم الذات والتعددية الثقافية باعتبارها مرجعًا جديدًا في فهم حياتنا المعاصرة. إنه يتحوّل إلى صرخة تنادي بـ:

1. **الاعتراف بالاختلاف** :حيث تُرى التجارب الجماعية (العمال، النساء، المثقفون، المستعمرون سابقًا) في كينونيتها بدلاً من أن تُقمع أوتُطبَّع في إطار شامل واحد.
2. **الذات كفاعل** :أي انتقال التحليل السوسيولوجي من البحث عن الأنماط إلى التفرد والتعبير الذاتي، حيث تصبح الذات مركزية في فهم الاجتماعي.

3. **إعادة بناء الحداثة** :ليست كتحطيمٍ للحداثة، بل كتصحيح لمسارها عبر إعطاء الذات حضورها الاعتباري وليس كدمية في يد المجتمع أو السوق أو الساسة أو أية سلطة تسعة إلى طمسها.

إن الكتاب الذي بين أيدينا يتخطى الكتابة والعالم الأكاديمي ليكون أداة حوار بين الحداثة والمستقبل الاجتماعي للانسانية، بين الهياكل الجماعية والتجربة الحيّة. إن إرهاص التحدي الماثل فيه يكمن في الدعوة لإعادة تشكيل صيغ الانتماء والإنتاج الاجتماعي على أسس ثقافية وأخلاقية جديدة، ترتكز على الحقوق والكرامة والتعددية.

وختامًا، يتطلب استيعاب هذا النص العميق جدا قراءة تأملية وحرية في الانفتاح على تعدد الأصوات في العالم، والانطلاق من الذات كمرجعية لإعادة اكتشاف الحداثة في ضوء عالمٍ يتميز بوعي ثقافي متعاظم، وانهيار أيديولوجيات السيطرة الكلية. إنه نص حي يناضل من أجل مجتمع لا يُسلب فيه الفرد ذاته، بل يُعاد فيه تكريمها.

قائمة المراجع

بيشو، س.، فيليول، أ.، وماتيو، ل .(2017) .قاموس الحركات الاجتماعية (ع. الشافعي، مترجم). الجيزة، مصر: دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات. (الطبعة الأولى).

تورين، أ .(2011) .براديغما جديدة لفهم عالم اليوم (ج. سليمان، مترجم). بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة. (الطبعة الأولى).

تورين، أ .(2017) .نهاية المجتمعات (ع. حزل، مترجم). الرباط، المغرب: دار الأمان. (الطبعة الأولى).

الفزني، م .(2016) .الحركات الاجتماعية ومساهمتها في التغيير السياسي والاجتماعي: حركة 20 فبراير نموذجًا (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب.

الفزني، م .(2024) .حركة الأساتذة المتعاقدين: مطلب الاعتراف المستبطن للمنفعة . القاهرة، المغرب: دار بصمة للنشر والتوزيع. (الطبعة الأولى).

أبيسكا، م. (2015، 16 أكتوبر). حوار مع عالم الاجتماع آلان تورين حول كتابه الأخير نحن، الذوات البشرية)ج. الحاج سالم، ترجمة وتقديم .(تيليراما-http://www.telerama.fr/idees/alain-touraine-sociologue-les. nouvelles-technologies-nous-bouleversent-autant-que-la-vapeur-ou-l-electricite

Touraine, A. (1974). Pour la sociologie. Paris : Seuil.

Touraine, A. (1978). La voix et le regard : sociologie des mouvements sociaux. Paris : Seuil.

Touraine, A. (1984a). Le mouvement ouvrier. Paris : Seuil.

Touraine, A. (1984b). Le Retour de l'acteur. Paris : Seuil.

Touraine, A. (1992). Critique de la modernité. Paris : Fayard.

Touraine, A. (2005). Un nouveau paradigme : pour comprendre le monde d'aujourd'hui. Paris : Fayard.

Touraine, A. (2013). La fin des sociétés. Paris : Le Seuil.

Touraine, A. (2015). Nous, sujets humains. Paris : Seuil.